المجلة الجزائرية للاتصال العدد 01(2012) ، ص05 ــ 26
ISSN:1111-536X EISSN:2676-1793

الصحافة الجزائرية: الواقع والتحديات

The Algerian press: Reality and Challenges

أ.دالسعيد بومعيزة*

Abstract:

This paper " The Algerian Press: Reality and Challenges" aims to provide a critical reading that goes beyond the rhetoric of the successful uniqueness of the Algerian press and the claim that it is the unchallenged pioneering experience in Arab countries It explores reality and the contradictions and paradoxes it entails that hinder its development within a democratic process that is not tainted by any specificity. Because journalism is not a luxury that can wait for a better tomorrow. Rather, it is a critical factor in the process of establishing a better future.

Key words: Algerian press, professionalism, disinformation, publicity, social responsibility.

ملخص:

تهدف هذه الورقة «الصحافة الجزائرية: الواقع والتحديات» إلى تقديم قراءة نقدية تذهب أبعد من الخطابات المنتشية بالتفرد الناجح للصحافة الجزائرية والادعاء بأنها التجربة الرائدة في البلدان العربية بدون منازع؛

*جامعة الجزائر3

وتستطلع الواقع وما ينطوي عليه من تناقضات ومفارقات تقف عائقا أمام تطورها ضمن صيرورة ديمقراطية لا تشوبها أية خصوصية. لأن الصحافة ليست من الكماليات التي يمكنها التأني في انتظار غد أفضل؛ بالأحرى، فهي عامل حاسم في عملية التأسيس لمستقبل أفضل.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الجزائرية، الاحترافية، التضليل، الاشهار، المسؤولية الاجتماعية.

مقدمة:

إن الحديث عن موضوع واقع الصحافة الجزائرية يستوجب النظر إليه من منظور تاريخي لإبراز التركة الفكرية والثقافية والنفسية التي مازالت تحملها وتجعلها تتميز عن غيرها؛ أيضا، الإشارة إلى بعد المعيارية العالمية في الصحافة التي تطبع الممارسات الصحفية المحلية في جميع بلدان العالم؛ ومحاولة رصد جملة من مظاهر واقع الممارسات اليومية للصحافة الجزائرية وتضميناتها المختلفة؛ وأخيرا، تقديم أهم التحديات التي تواجه الصحافة الجزائرية.

وعليه، فإن المنظور التاريخي للصحافة الجزائرية يكشف لنا عن عدة مراحل تاريخية سبقت ظهور الصحافة في الجزائر، أو ظهرت خلالها، أو مرت بها إلى غاية المرحلة التي نعيشها اليوم. ولكل واحدة من هذه المراحل التاريخية مميزاتها الخاصة. وتقاس أهمية كل مرحلة تاريخية بوزن

آثارها على الصحافة الجزائرية التي أصبحت متكلسة عبر الزمان، وما زالت عواقبها محسوسة إلى اليوم، والتي لن تزول إلا مع توفر بعض الشروط الملائمة لقيام صحافة حرة ومستقلة عن المتغير السياسي والاقتصادي على حد سواء.

ولعل أبرز هذه الآثار العلاقة المتشنجة التي تربط معظم الصحافة الجزائرية الخاصة بالمتغير السياسي، وعلاقة التابع لهذا الأخير بالنسبة للصحافة الحكومية؛ وهيمنة المنطق التجاري والربحية؛ وغياب الاحترافية وأخلاقيات المهنة في الممارسة الصحفية؛ وتدني مستويات الانقرائية؛ والتعثر في مواكبة التطورات التكنولوجية؛ والثنائيات المتعددة، مثل: الملكية واللغة والجيل والتمثيل المهني والتكوين، الخ. فكل هذه المتغيرات تقف عائقا أمام الصحافة الجزائرية لمواجهة التحديات التي تفرضها المرحلة الحالية. وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في هذه الورقة.

التخوف من المكتوب

إن من بين أهم ما يميز الصحافة الجزائرية اليوم هي العلاقة المتشنجة مع المتغير السياسي فيما يخص الصحافة الخاصة، ويمكن تفسير هذا التشنج بالتخوف من المكتوب أساسا الذي يعتبر التمهيد للحذر من الصحافة كما يؤكد على ذلك الأستاذ عبد الرحمان عزي. إذ يقول في هذا السياق، أن هذا التخوف من المكتوب ترجع جذوره إلى الخلافة العثمانية،

والاعتقاد بأن انتشار الفكرة أو الأفكار تؤثر في أوساط الناس أو تضعف من سلطة الحاكم أو تضفي نوعا من السلطة على الآخر أي الخصم.[†]

وتاريخيا، يعرف عن الدولة العثمانية أنها لم تسمح بدخول المطبعة إلى أراضيها إلا بعد أن مرت ثلاثة قرون على ظهورها في أوروبا، أي في 1761. وهذا يفسر بالتخوف من انتشار الكلمة المكتوبة عن طريق الطباعة، وبالتالي بواسطة الصحافة. وهذا ما توارثته البلدان العربية التي كانت تحت السيطرة العثمانية عموما، والجزائر خاصة.

ونفس التخوف من المكتوب أظهرته السلطة الاستعمارية فيما يخص السكان الجزائريين، حيث دخلت المطبعة مع المستعمر في 1830، لكن لم يسمح لهم بإنشاء الجرائد إلا بعد مرور عدة عقود من الزمان، وعندما تم السماح لهم، تجسد ذلك لأول مرة في جريدة "المنتخب" المزدوجة اللغة، وبالتالي فهي أصل الازدواجية اللغوية في الصحافة الجزائرية التي استمرت كظاهرة إلى يومنا هذا. ولقد كانت جرائد الجزائريين تعاني من الرقابة الاستعمارية الشديدة.[‡] والميزة الكبرى للصحافة الجزائرية في وقت

[†] - عبد الرحمان عزي، تجليات الخوف في الصحافة – بناء الخوف وانكسار البنية القيمية في الصحافة العربية، ورقة مقدمة لأشغال
جامعة فيلاديلفيا، عمان، 2006 24-26 أفريل، ملتقى

[‡] - ولقد تم إنشاء جريدة " المنتخب " عام 1882 وهي أول جريدة إسلامية. انظر: زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991. ص.91

الاستعمار، حسب ما كتبه الأستاذ زهير إحدادن، كانت تتمثل في كونها صحافة سياسية أو ثقافية إسلامية بنسبة أقل.[§]

وفي مرحلة الثورة التحريرية، كان قادة الثورة يتميزون بالتكتم والسرية والحرص على مراقبة كل ما يكتبونه وينشرونه بخصوص مجريات الأحداث؛ والميزة الأساسية لصحافة تلك المرحلة كانت الدعاية بالدرجة الأولى، وهي الخصائص التي ستصبح من المكونات الأساسية للثقافة السياسية لدى حكام ما بعد الاستقلال وتؤثر على نظرتهم إلى دور الصحافة. وبعد استرجاع السيادة الوطنية كان التخوف من الصحافة حاضرا في ذهن الحكام آنذاك وترجموه إلى سياسات عملية تتمثل في التأميم والاحتكار، إلى غاية إقرار التعددية السياسية والإعلامية في 1989.

وتجدر الإشارة إلى الارتباط الوثيق بين الثقافة السياسية والتصور الذي يحمله الحكام عن دور الإعلام عامة والصحافة خاصة. من هذه الزاوية يعتبر التخوف من المكتوب عنصرا مكونا للثقافة السياسية الجزائرية التي تأثرت إلى حد بعيد بالثقافة السياسية الفرنسية القائمة على مقولة (نابوليون بونابارت) الشهيرة: " لو أطلقت العنان للصحافة، سوف لن أبقى في السلطة ثلاثة أشهر."[**] والتي ورثها الرئيس الفرنسي (شارل دوغول)

§ - نفس المرجع، ص.92

** - Jean Marie Auby et Robert Ducos-Ader (1976) : Droit de l'Information, Dalloz : Paris. p.29

الذي جعل التلفزيون الفرنسي يتحدث باسمه، وما زالت بقايا تلك الثقافة السياسية قائمة في فرنسا إلى يومنا هذا ولو بشكل غير صريح.

ورغم تبني التعددية السياسية والإعلامية في الجزائر بعد 1989 إلا أن التخوف من الصحافة بقي حاضرا في أذهان الحكام، والدليل على ذلك أن ولادة الصحافة الجزائرية الخاصة لم تكن طبيعية لكونها مستنسخة من تجربة فرنسية، بعد الحرب العالمية الثانية، تعرف بقانون (Gaston Deferre) في 11 ماي 1946 من جهة††؛ ومن جهة ثانية كانت الولادة قيصيرية وبأدوات غير معقمة في الكثير من الحالات، مما أدى إلى موت بعض العناوين بصفة مبكرة، وإلى تعفن البعض الآخر وتشوُّه باقي العناوين. أما الجراحون فيشار إليهم بالمخابر أو القوى الخفية أو الزمر، الخ.

(Si je lâche la bride à la Presse, je ne resterais pas trois mois au pouvoir)

†† - التجربة الفرنسية تتمثل في قانون (Gaston Deferre) الصادر في 11 ماي 1946 الذي سمح بإعادة ترتيب ملكية الصحافة الفرنسية من خلال توزيع بعض العناوين على المقاومين، وترجيح الكفة لصالح اليسار على حساب اليمين الذي كان يتمتع بوضعية أفضل في 1939 مثلا عدد النسخ المساندة لليمين خمسة ملايين مقابل مليون واجد ونصف لصالح اليسار.

انظر: السعيد بومعيزة، الخدمة العمومية والصحافة المكتوبة، في: عبد الرحمان عزي، فضاء الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 صص.109-116

وعليه، يمكن أن نستخلص من هذه الخلفية التاريخية أن الموروث المتكلس في الصحافة الجزائرية يتمثل في عناصر التخوف والتخويف والتسيس والدعاية والتجنيد والازدواجية اللغوية والملكية، الخ، التي تعد من المعوقات الرئيسة لتطورها.

بعد المعيارية العالمية في الصحافة

إن الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى الصحافة الجزائرية بسبب التسيس والدعاية وغياب الموضوعية وتدني مستوى الاحترافية، الخ، لا يقتصر عليها وحدها، وإنما يمكن إسقاطها على صحافة بلدان العالم أجمع تقريبا ولو بدرجات متفاوتة.

إن الصورة التي كنا نحملها عن الصحافة منذ زمن بعيد كانت تعكس الصحافة كسلطة رابعة مستقلة تلعب دور كلب الحراسة وتدق ناقوس الخطر كلما رصدت مساوئ على مستوى الحكام أو المجتمع، وتبصِّر الرأي العام بالوقائع والآراء بموضوعية وحياد.

أما صورة الصحافيين في المخيال الاجتماعي فكانت لأبطال يؤدون رسالة في المجتمع من خلال البحث الدائم عن الحقيقة للدفاع عمّا هو عادل

في الحياة وتغيير العالم، وضحايا البحث عن الحقيقة والكلمة الحرة منهم كثيرون. لقد كانوا، بالفعل، مؤثرين سياسيا وفكريا.‡‡

لكن من المؤكد أن هناك بقايا صحافيي السلطة الرابعة في كل بلد من بلدان العالم، إلا أنهم صاروا يمثلون أقلية. فالبعض من الصحافيين اليوم أصبح يقبل إكراميات السياسيين وأصحاب الشركات، أو يتحايل على الرأي العام بإجراء مقابلات أو تحقيقات صحفية وهمية أو مفبركة.§§

إذن، الصورة الرومانسية السالفة الذكر تغيّرت جذريا بفعل التحولات الكبرى في جميع الاتجاهات، إذ أصبحت صورة الصحافة اليوم تتلخص في كون: " رأسها في السياسة: ورجلاها في التجارة" على حد قول أحد الباحثين.(2) مما جعل أحد كبار نقاد الصحافة يصرح بأن: "الصحافة مهنة منكوبة."*** فالصحافة اليوم، كسلطة رابعة أصبحت وهما أكثر مما هي حقيقة. لأنها فقدت استقلاليتها وموضوعيتها بسبب نسيج العلاقات الذي

‡‡ - السعيد بومعيزة، التضليل الإعلامي وأفول السلطة الرابعة، في البوابة العربية للدراسات الإعلامية: www.arabmediastudies.net

§§ مثل ما فعله (Patrik Poivre-D'Arvor) نجم القناة التلفزيونية الفرنسية TF1 و مقدم أخبارها، حين ادعى استجواب (فيدال كاسترو) على المباشر، و في الواقع، كانت المقابلة مسجلة.

*** - Serge Halimi (1997): Les Nouveaux Chiens de Garde, Liber, Paris, 1997

يربط ملاّكها وإعلاميّيها بمراكز صنّاع القرارات السياسية والصناعية والعسكرية.

فالصحافة اليوم، التي كانت في وقت عزها ملكية عائلية، أصبحت الآن مجمّعات متكتّلة (Conglomerats) اقتصادية وتجارية أكثر ممّا هي مؤسسات إعلامية و ثقافية؛ وتتحكم في محتوياتها تقنيات التلاعب بالعقول لصناعة رئيس أو لتلميع صورة مؤسسة أو شخصية عمومية أو لاقتناء منتوج؛ أما مسيروها فهم رجال أعمال أكثر مما هم رجال فكر؛ والصحفيون صاروا يحلمون بالنجومية وجمع المادة أكثر ممّا يحلمون بتغيير العالم، باستثناء البعض منهم، الذين صاروا نوعا نادرا في الفضاء الإعلامي، أو هم من بقايا وهم السلطة الرابعة.[†††]

وعليه، يمكن القول أن زمن Bob Woodward and Carl Bernstein أي صحافة السلطة الرابعة قد ولّى إلا ما ندر.[‡‡‡] لأننا صرنا

[†††] - السعيد بومعيزة، التضليل الإعلامي، مرجع سبق ذكره

[‡‡‡] 1- في الوقت الحاضر لم تعد الصحافة سلطة رابعة ويمكن القول أن أسطورة الصحافي كبطل التي كان يحملها المخيال الشعبي قد زالت تقريبا. ذات الأسطورة التي تم تصويرها في فيلم All the President's Men الذي قام فيه Dustin Hoffman and Robert Redford بأداء دور الصحافيين Carl Bernstein and Bob Woodward من جريدة Washington Post في عام 1976 والذي يروي قصة فضيحة Watergate وتنحي Richard Nixon عن منصب الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية.

نعيش عهد الرداءة الإعلامية في جميع بلدان العالم تقريبا، ولو بدرجات متفاوتة. إذ أصبح الإعلام الجدي مطرودا من الساحة من قبل أخبار الفضائح والعروض الهابطة والمحتويات الصفراء والتحقيقات المكتبية والسرقات الأدبية، الخ.

لكن مسئولية هذا التراجع في أداء الصحافة في بلدان العالم عموما لا تقع على الإعلاميين وحدهم، وإنما على الجمهور العام كذلك، وتحديدا منظمات المجتمع المدني. إذ يقول أحد الباحثين في هذا الصدد ما يليا: " إن الأسلوب السائد لتوفير الإعلام في عالم اليوم يصيب زبائنه بالأذى والجور عن طريق تضليلهم، وبتشويه الحقائق، وبرفض الاستماع إليهم، وبإبقائهم جاهلين، وبنفي مسئوليته. ولكن المشكل الخطير هو أن الأغلبية من مواطني العالم لا يهتمون إلا قليلا بالبيئة الإعلامية".[§§§]

مظاهر واقع الصحافة الجزائرية

انظر : السعيد بومعيزة، التضليل الإعلامي وأفول السلطة الرابعة، في البوابة العربية للدراسات الإعلامية:
www.arabmediastudies.net

§§§ - Cees Hamelink, Trends in World Communication: On Disempowerment and Self-Empowerment..,Source: www.southbound.com.my/SB_TrendsWorldCommunication.htm - accessed: 04/01/2009

من الصعب جدا حصر كل المظاهر التي تميز الصحافة الجزائرية بإيجابياتها وسلبياتها، ولا ندعي أننا رصدنا الأهم، وإنما نحاول تقديم البعض من المظاهر التي نعتقد أنها تمثل قضايا رئيسة في حياة الصحافة الجزائرية. والتي يمكن عرضها فيما يلي.

إن الصحافة الجزائرية في معظمها أصبحت فاعلا سياسيا بدلا من فاعل إعلامي. وبالتالي، فهي غير قادرة على التخلص من التسيُّس والتأدلج. فهي إما ناطقة باسم الحكومة القائمة أو معارضة لها وهذا يتوقف على ما إذا كانت خاصة أم عمومية. وفي كلتي الحالتين تغيب الموضوعية والحياد والنقد المؤسس.

فالصحافة الجزائرية، الخاصة وأحيانا العمومية أيضا، كانت وما زالت وسيلة لحسم الصراعات فيما بين الزمر المتنافسة ولضرب استقرار الخصوم وتصفيتهم. ففي خضم الحروب النفسية المعلنة والغير معلنة تقدم الجرائد صفحاتها إلى أقلام لبلوغ أهداف مرسومة مسبقا، ويطلق العنان لتعاليق الصحافيين وآرائهم لتدعيم حجج محددة وأخبار مكشوف عنها عمدا، ولا تتوانى في استعمال الإشاعات والاتهامات والقذف، مع الادعاء بالحرص على الدفاع عن مبادئ الحرية والعدالة والقانون والأخلاق.[****]

[****] – محمود بلحيمر، الصحافة الجزائرية في مواجهة الفساد..معركة فاشلة، نقد، مجلة الدراسات والنقد الاجتماعي، العدد.25، خريف/شتاء 2008 صص.31-51

عدم ثقة جمهور القراء في الجرائد التي يقرئونها واستبدلت عبارة "إنها مكتوبة في الجريدة "، وبالتالي فهي صحيحة، بعبارة إن الجرائد تكذب أو لا تقول الحقيقة ".وهكذا تأسس انعدام مصداقية الجرائد لدى قرائها الذين صاروا يتأكدون من الأخبار بالتعرض إلى القنوات التلفزيونية الإخبارية الأجنبية.

إن الصحافة الجزائرية لا تشكل أوليات القراء من حيث الموضوعات والقضايا المهمة وغير المهمة. وبالتالي، يمكن القول أنها لا تلعب الدور الحاسم في تشكيل الرأي العام. فالذي يشكل أولويات القراء هي الجماعات الأولية، خاصة جماعات الأصدقاء في الحي السكني أوفي ميدان العمل وحتى في المسجد، التي تتميز بالتفاعل المباشر حول الموضوعات التي لا تظهر عادة في الصحافة كالمواضيع السياسية وأقوال وأفعال من في السلطة، والمضاربات، والتكهنات وما إلى ذلك، وهو ما يجعل هذه القنوات أكثر اعتبارا من الوسائل الأخرى في ميدان الاتصال في هذا المجتمع.[††††]

من بين الثنائيات التي تشكل استثناء وحالة غير طبيعية هي تواجد صحافة خاصة وصحافة عمومية. فهذه الأخيرة تستفيد من امتيازات كثيرة كالإشهار المؤسساتي ولكن مردودها السياسي لا يرقى إلى مستوى الإنفاق عليها، بسبب توزيعها المحدود جدا وضعف مصداقيتها لدى القراء عموما.

[††††] - عبد الرحمن عزي، الصحافة العربية: قراءة تقييمية في ثالوث " ويليم روف"، في عبد الرحمان عزي، عالم الاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992. صص.165-186
انظر:William Rugh, The Arab Press, Syracuse University, New York, 1979

ولا تقوم بالدور المفترض القيام به مثل نشر الأخبار السياقية التي لا تنشرها الصحافة الخاصة، وإنما تعمل كجهاز دعائي للسلطة القائمة وحسب.

من بين الثنائيات أيضا والتي تطرح إشكالات معقدة نذكر الثنائية اللغوية (العربية والفرنسية) التي عوض أن تكون عامل ثراء فكري وثقافي تحولت إلى مصدر صراعات وتمايز اجتماعي وثقافي. ويتجلى هذا من الدور المسند إلى الجرائد الناطقة بالفرنسية، التي كل عناوينها مجتمعة لا تستفيد إلا من15% من القراء الجزائريين، ولكنها تكتسي أهمية لدى أصحاب القرار أكبر من الأهمية المولاة للجرائد المعربة، وهذا بتعلة فائدتها إلى الرأي العام العالمي .

من بين المظاهر السلبية في الصحافة الجزائرية هو التمركز في المراكز العمرانية الكبرى مثل: الجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران على حساب مناطق أخرى، وهذا ينطبق على كل من الصحافة الخاصة والصحافة العمومية؛

غياب المساواة في توزيع الإشهار وخاصة الإشهار المؤسساتي الذي تستحوذ عليه صحف لا تعرف توزيعا واسعا في السوق وهذا ينطبق على الصحف الناطقة بالفرنسية والصحف الحكومية. إذ أن هناك قلة من الجرائد تستفيد من رَشْ إعلاني معتبر لدرجة هذا الأخير على المحتويات التحريرية أو تجاوز المقاييس المتعارف عليها وأخرى تعاني من قلته بسبب خطها الافتتاحي. وغير مستبعد أن يفرض أصحاب الإشهار خطا افتتاحيا معينا على الجرائد أو الدفع مقابل السكوت والتكتم عن نشاطات محددة.

أن الظروف الاجتماعية لتي يعيشها الصحافيون كتدني الرواتب والعمل لساعات طويلة وغياب التأمين بالنسبة للبعض أو الاستفادة من التقاعد، الخ، تدفع بالكثير منهم إلى الاسترزاق في جهات أخرى، وهذا على حساب المهنة ومتطلباتها.

أن أغلبية المراسلين الصحافيين لا يمتلكون بطاقة مهنية تسهل لهم مهمة التغطية... ويؤدون مهامهم في ظروف صعبة مع التعرض إلى ضغوطات عديدة من جهات مختلفة . والكثير منهم لا يستفيدون من نظام الضمان الاجتماعي، إضافة إلى ممارسة البعض منهم لمهنة الصحافة بدون أي عقد مع المؤسسة الصحفية والتي يتقاضى منها الأغلبية دخلا شهريا زهيدا مع كونه المصدر الوحيد لعيشهم.[‡‡‡‡]

إن المناخ العام في الجزائر يتميز بأزمة ثقة عمومية عميقة في السلطات العمومية على المستوى المحلي والوطني، وهذا، في جانب كبير منه، له صلة باستشراء الفساد في معظم المؤسسات على اختلاف طبيعتها ومستوياتها. فهناك، مثلا، ظاهرة تحويل القرارات السياسية إلى أصول)، عن la fonction corruptiveالسوق وتأسيس الوظيفة الراشية (طريق إبرام العقود بالتحايل على القانون وتوزيع الأراضي والسكنات

[‡‡‡‡] - انظر في هذا الشأن: رضوان بوجمعة، الصحفي والمراسل الصحفي في الجزائر: دراسة سوسيو–مهنية، طاكسيج.كوم، الجزائر، 2008.

(le crédit corruptif)بالعمارات ومنح قروض بنكية راشية للاستثمار.§§§§

ففي ظل مثل هذا المناخ يفترض في الصحافة أن تعمل على أخلقة هذه البيئة الفاسدة، ولكن يشير أحد الصحافيين إلى أنه: " يستحيل على صحافي ضعيف مهنيا وثقافيا ومثقل بحجم لا يطاق من المواضيع أن يكون محققا ناجحا في ملفات فساد جد معقدة ".*****

من جهة أخرى، يصعب على الصحافيين الجزائريين عموما، أن يشعروا بتضارب المصالح أثناء أداء مهامهم، ولا بصراع الدور، وهم يلاحظون من حولهم كيف تبنى الثروات بطرق غير قانونية، وعلى الخصوص، من طرف أصحاب المهن التي يفترض فيها أن تكون قدوة في المجتمع، مثل: المحامي الذي يجني أموالا طائلة من الدفاع على المتورطين في الأعمال الإرهابية، والطبيب الذي يُحَوِّلُ المرضى الفقراء من المستشفيات العمومية إلى العيادات الخاصة ليدفعوا أموالا لا يطيقونها، أو مدير البنك الذي يتساهل في منح القروض مقابل شراكة أو رشوة، أو الأستاذ الجامعي الذي يمنح علامة نجاح مقابل إكراميات غرائزية أو مادية، والصحافة المسقية

§§§§- Kadi Ihsan, Corruption et Stratification Sociale, NAQD, Revue d'études et de critique sociale, N°.25. Automne/Hiver 2008. pp.157-166

1- محمود بلحيمر، الصحافة الجزائرية، مرجع سابق

بصفحات من الإعلانات مقابل الصمت، الخ. فكل هذه المظاهر السلبية التي يلاحظها الصحافي ربما قبل غيره لا تحفزه على التقيد بأخلاقيات المهنة الصحفية.

لكن الصحافة في الجزائر، على وجه العموم، لم ترتق بعد إلى العمل وفق معايير الاحترافية التي تعني التحكم في الجانب التقني من المهنة كاللغة والأسلوب؛ ولا الجانب الإيديولوجي الذي يشير إلى الدفاع عن استقلالية المهنة الصحفية بالتصدي إلى الضغوطات مهما كان مصدرها. ولا تعمل، أيضا، وفق أخلاقيات المهنة الصحفية بالرغم من تدوينها في ميثاق شرف لنقابتها أو من طرف بعض الجرائد اليومية. ومن بين تجليات ذلك ما يلاحظ من خلط بين الرأي والتعليق في الكتابات الصحفية، وغياب الموضوعية والإنصاف في معالجة قضايا موضوع جدل أو صراع.

هناك هوة تفصل فيما بين الأكاديميين والممارسين، وكل طرف ينظر إلى الآخر بارتياب وقلما يحدث تعاون وتكامل بين الجامعة والمؤسسات الصحفية. إذ ينظر الأكاديميون إلى الممارسين على أنهم لا يتوفرون على الرصيد المعرفي لممارسة الصحافة؛ ويرد المهنيون بقولهم أن الجامعة لا تكوّن تكوينا جيدا وملائما. علاوة على ذلك، فإنه لا توجد اتفاقيات بين الجامعة والمؤسسات الصحفية. وبالتالي، لا يتم التوظيف في ميدان الصحافة وفق معايير موضوعية دائما ويخضع لاعتبارات ذاتية، وهذا يؤثر على الأداء الصحفي.

هذه هي إذا بعض المظاهر من واقع الصحافة الجزائرية التي يخص بعضها الصحافة الخاصة والبعض الآخر يمكن أن ينحصر في الصحافة الحكومية، ولكن يشترك النموذجان في الكثير مما اشرنا إليه. وننتقل الآن إلى الحديث عن طبيعة التحديات التي تواجه الصحافة الجزائرية.

تحديات أمام الصحافة الجزائرية

من بين أولى التحديات التي ينبغي على الصحافة الجزائرية رفعها هي الشعور بالمسئولية الاجتماعية تجاه المجتمع ومؤسساته. لأن ما يكتبه الصحافي وينشره يمس حياة الأفراد والمؤسسات، فكتاباته يمكن أن تؤدي إلى البناء وزرع الأمل، كما يمكن أن تقود إلى الهدم وإدخال اليأس والإحباط في النفوس. ويستتبع ذلك، العمل وفق أخلاقيات المهنة الصحفية وآدابها التي من بين مبادئها الأساس: قول الحقيقة والإنصاف والنزاهة والموضوعية وخدمة الجمهور العام، الخ.

من بين التحديات، أيضا، إدراك العاملين في الصحافة الجزائرية أنه لا ينبغي النظر إلى حرية الصحافة على أنها حرية الصحافي في الوصول إلى مصادر الأخبار ونقلها والتعليق عليها ونشرها وحسب؛ وإنما هي مترابطة بشدة مع حق الجمهور في المعرفة والمعلومات.[†††††] إلا أن هذا لا يتم إلا

[†††††]- Freedom of Information and the Press, UNESCO promotes freedom of expression and freedom of the press as a basic human right. Source:

عن طريق الانتقال من صحافة الرأي والتعليق إلى صحافة الوقائع والمعلومات، فبفضل المعلومات يستطيع الناس أن يكونوا رأيا بخصوص الشئون العامة واتخاذ قرارات صائبة. وهذا ما كان قد دعا إليه أحد أساطنة الصحافة العربية محمد حسنين هيكل حين قال: " أستطيع أن أعيش إذا قلت لي كل ما يجري وبدون آراء، لكن كيف أعيش بالآراء وحدها دون ما جرى."[‡‡‡‡‡]وهذا يتضمن أيضا درجة عالية من الاحترافية.

ضرورة احترام القوانين السائرة المفعول في البلد على غرار المادة 44 مكرر من تعديل قانون العقوبات في 26 جوان 2001 الذي شدد العقوبات ضد الصحافيين الذين تثبت في حقهم تهمة القذف، وأدخل تجريما جديدا وهو الإساءة.[§§§§§] فإذا كان الإعلاميون لا يتفقون مع قانون يخصهم، ولأنهم مواطنون مثلهم مثل بقية المواطنين، يتعين عليهم احترام

http://www.unesco.org/bpi/pdf/memobpi34_pressfreedom_en.pdf. Consulté (12/03/2008)

‡‡‡‡‡ - عبد الرحمان عزين عالم الاتصال، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1992 صص.85-87

§§§§§ - تنص المادة 44 مكرر على ما يلي: " يعاقب بالسجن من ثلاثة (3) أشهر إلى إثني عشر (12) شهرا وبغرامة من 50.000 دج إلى 250.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط كل من أساء إلى رئيس الجمهورية بعبارات تتضمن إهانة أو سبا أو قذفا سواء كان ذلك عن طريق الكتابة أو الرسم أو التصريح أو بأية آلية لبث الصوت أو الصورة أو بأية وسيلة إلكترونية أو معلوماتية أو إعلامية أخرى.

القانون أولا، ثم العمل على تغييره؛ بالإضافة إلى ضرورة المساهمة في نشر الثقافة القانونية التي تنظم عمل الصحافة في المجتمع.

مواكبة التطورات التكنولوجية والتكيف مع متطلباتها، وما يلاحظ في هذا الصدد هو خطاب الصحافيين المنتشي بالتحكم في تكنولوجيات الاتصال والمعلومات إلا أن الممارسات تدل على أنهم متأخرون في تبنيها واستخدامها بصفة يومية. مثلا، هل يملك كل صحافي حاسوب محمول؟ وهل يحسن معرفة قراءة الحاسوب وكتابته؟ بعبارة أخرى ومن منظور سوسيولوجيا الاستخدام هل يَتَمَلَّكُ (appropriation) كل الصحافيين تكنولوجيات الاتصال والمعلومات؟

إن ما يلاحظ هو أن البعض من العاملين في الصحافة التقليدية ما زالوا غير مقتنعين بالإمكانات التي تتيحها الانترنت، أو أنهم متشبثون بعاداتهم ولا يريدون التخلي عنها. وبالتالي، فهم لا يستغلون كل الفرص التي تتيحها الانترنت لتحسين الجريدة الورقية أو الالكترونية ويكتفون ببرقيات وكالات الأنباء.

فعلى الصحافة الجزائرية التقليدية الاستفادة من المرئية العالمية التي تتيحها الانترنت، وفي نفس الوقت محاولة تجنب مخاطر هذه العملية مثل تقلص عدد الذين يقرؤون النسخة الورقية أو المشتركين. ومخاطر ما يسمى بهجرة المحتويات إلى الواب، خاصة وأن الشباب في العالم أصبح يميل أكثر فأكثر إلى الاطلاع على الأخبار على الخط أو على الهاتف النقال.

من جهة أخرى، ينبغي التوكيد على أن المرئية العالمية مرتبطة بالشهرة المكتسبة على الورق، لأن الجريدة التي لا تقرأ على الورق لا يمكن انتظار قراءتها الكترونيا. فما فائدة وضع جريدة ورقية على الخط وهي تعاني التوزيع؟ فالمسألة تصبح آنذاك مجرد تقليد ونفقات أكثر (تخصيص فريق من الصحافيين لتنشيط الجريدة الالكترونية) قد يتعذر على الجريدة تحملها.

كما يتعين على الصحافة الجزائرية التهيؤ لمواجهة تحدي الظاهرة الإعلامية الالكترونية الجديدة المتمثلة في " السلطة السادسة " أي المدونات الالكترونية التي أصبحت تشكل إعلاما بديلا الذي يتجه نحو الانتشار والتعميم ويمكن أن يصبح المصدر الأساس للمعلومات وليس الصحافة التقليدية، وهذا بالنسبة للأفراد والمؤسسات على حد سواء.

على الصحافة الجزائرية أن تواجه تحدي الانقرائية التحريرية من خلال التحكم في آلياتها كالتراكيب اللغوية القائمة على الوضوح والانسياب التي تؤدي إلى الفهم القرائي الواضح؛ وتجنب التراكيب الوافدة والعامية والكلمات الصعبة غير المألوفة واللغة الاصطلاحية والنخبوية؛ والتحكم في الفنون الصحفية كالمقال والحديث الصحفي والتحقيق والتقرير والخبر وعدم

الخلط بينها؛ وأخيرا، الاعتماد على الأسلوب التعبيري المحايد والموضوعي المتسم بالتقريرية.******

يتعين على الصحافة الجزائرية المساهمة في أخلقة الفعل السياسي ومن ثمة أخلقة الفعل الإعلامي، وهذا عن طريق التحريات وتسليط الضوء على الممارسات السلبية والرشوة، رغم ارتفاع نفقات هذا النوع الصحفي، لكنه استثمار جيد على المدى البعيد، فكل ذلك قد يؤدي إلى إعادة بناء الثقة في المؤسسات وفي مؤسسة الصحافة على الخصوص.††††††

خلاصة

إن واقع الصحافة الجزائرية يكشف عن الكثير من التناقضات والمفارقات التي تمتد جذورها بعيدا في التاريخ وبعضها الآخر وليد المرحلة

******– انظر في هذا الشأن: سعيدات الحاج، الانقرائية الإعلامية للجرائد اليومية الجزائرية: جراسة تحليلية أسلوبية للأخبار الداخلية خلال فترة سبتمبر 2006 سبتمبر 2007، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2009

†††††† - Marshall R. Goodman, Timothy J. Holp and Karen M. Ludwig, “Understanding State Legislative Ethics Reform: The Importance of Political and Institutional Culture”, in Public Integrity Annual, 1996, pp. 51-57. In Political Culture: How does political culture influence the legislature?
Source: http://siteresources.worldbank.org/PSGLP/Resources/ethicsunit8.pdf.Accessed: 11/12/2008

الحالية، أو أنها من مميزات الصحافة كظاهرة تكنولوجية وثقافية عالمية. وتعرضنا إلى جملة من التحديات التي يتعين على الصحافة الجزائرية رفعها لكي تكون فاعلا حقيقيا على مستوى المعرفة والأفكار.

أخيرا، يمكن القول بأن الصحافة في نهاية المطاف ما هي إلا انعكاسا للبنيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة في البلد، بعبارة أخرى ما هي إلا صورة عن المجتمع الذي توجد فيه، فلا يمكن أن يكون أداؤها أفضل من أداء مؤسسات أخرى على نفس الدرجة من الأهمية أو أعلى. إلا أننا ننتظر من الصحافة أن تكون في الطليعة لتقود المجتمع وحسب.